

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
رواه مسلم



الفصل الدراسي الثاني

الأربعون النووية

د. عبد الحكيم العجلان

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

الحديث الثاني.



{الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..}

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والمجاهدين وجميع المسلمين.

قال الإمام النووي رحمه الله: الحديث الثاني:

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمُسْتَوَلُّ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ {

كيف روى ابن عمر رضي الله عنه هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه؟



- يذكر أن يحيى بن يعمر وحميد الحميري لما كانا بالبصرة، ووقع فيها ما وقع في أول فتنة، وأول بدعة حصلت، وهي بدعة القدر، وتكلم معبد الجهني، فانطلقا حاجين يطلبان الحج، ويطلبان العلم والسؤال عن تلكم الحال التي عم بها البلاء وظهرت بها الفتنة، فأول ورودهما المدينة لقيا ابن عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فكان

منهما أن ذكرا له ما نزل بهما من أحاديث القدر، وما جرى فيها، وكلام معبد، والفتنة التي حصلت بذلك، فقال: أخبروه أنه بريء منه، وذكر ما جرى له رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ثم أورد هذا الحديث.

- هذا الحديث بالمناسبة، هو أول حديث أوردته مسلم في صحيحه، كما أن حديث عمر هو أول حديث أوردته البخاري في صحيحه، فكان رحمه الله تعالى أن أورد هذين الحديثين اللذين هما من أعظم الأحاديث، بما استعملهما هذان الإمامان، الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما، وهما حديث عمر في النية، وحديث ما جرى من تعليم الدين، وما فيه من الإسلام والإيمان والإحسان.
- ومما يدل على ذلك أن أهل العلم قالوا في هذا الحديث إنه: **أم السنة**، كما أنه يقال للفاتحة أم القرآن، ولذلك جاء عند مالك أنه قال: ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها، لعظم ما اشتملت عليه، ولأنه كما قال أهل العلم إنها اشتملت على معاني القرآن كله، فكذلك هذا الحديث، يكاد يجمع معاني السنة كلها. وذلك أنه اشتمل على أمور الإسلام، والأحكام الظاهرة، وأمور الإيمان، والأمور الباطنة، وتعلق بالإحسان، وأتى فيه أخبار الساعة واليوم الآخر، وجاء فيه أيضاً ما يتعلق بالآداب والأخلاق، فكان جماعاً لأحاديث كثيرة، ولمعانٍ جلية، وأيضاً ذكر بعض أهل العلم أنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.
- هذا الحديث وسؤال بين جبريل عليه السلام ورسولنا صلوات ربي وسلامه عليه. **ففيه إشارة إلى ماذا؟ إلى أن علوم الشريعة من أعظم ما ينبعث لها المرء، وأعظم ما يتصدى لها الإنسان، وأن من تصدى لها فقد تصدى لخير كثير، وارتفعت منزلته عند الله جلّ وعلاً، وقد تقدم الحديث أو الإشارة إلى حديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».**
- ولأجل ذلك لم ينبعث جبريل عليه السلام للكلام في بعض أمور المعاملات، أو الدنيا، أو ما يقوم به قوام الناس في معاشهم أو اقتصادهم أو اجتماعاتهم أو غيرها، وإنما انبعث لما يتعلق بتحقيق توحيد الله جلّ وعلاً، والإيمان به.
- وكان ذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أزكى البشرية، وبين جبريل الذي هو أرفع الملائكة عند الله سبحانه وتعالى، وهذا فيه دلالة إلى عظيم هذه المعاني التي اشتمل عليها هذا الحديث، حتى تصدى له أفضل الرسل.
- ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نعلم عظم قدر توحيد الله والإيمان به، وأن يكون هو أس حياتنا، وأصل أيماننا، وقوام جميع أمورنا.
- ثم في هذا إشارة لطيفة، وذلك أننا سمعنا في أول الحديث، أنه لما جاء جبريل عليه السلام في صورة ذلك الرجل الذي لا يعرف عند الصحابة، فليس من أهل المدينة، ولا يظهر عليه أثر السفر، فقال حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، يعني إلى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع كفيه على فخذه، بعضهم يقول على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم، بعضهم يقول على فخذه يعني جبريل عليه السلام.
- وفي هذا إشارة إلى أنه مع عظم درجتهم، وعظيم منزلتهم، وفائق ما خصهم الله جلّ وعلاً به من الخصائص، إلا أنه لما كان المنزل منزلة علم وتعليم، فإنهم كانوا أعظم ما يكون عليه من الهيئة، وأتم ما يكون فيه من السمات، والهدوء والسكينة والطمأنينة والوقار، الذي فيه تعظيم للعلم، وتعظيم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيم لما فيه من توحيد الله والإيمان به.

- ولذلك حفظنا قول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]، وهو القرآن، لا يحمله إلا ذوو القلوب القويمة السليمة التي تقدره حق قدره، وتنزله حق منزلته، لا تلعب به، ولا تسخر، ولا تتلقاه كما تتلقى أحاديثها أو أمور دنيها، أو شيئاً مما تسلي به أوقاتها وتضيع به أيامها وحياتها.
- فهذا مما ينبغي لنا أن نعلمه، وذلك أن كثيراً من طلبة العلم أو أن بعض طلبة العلم ربما إذا اجتمع له شيء، أو وُسِمَ ببعض الأوصاف سواء الأوصاف الأكاديمية، أو العلمية، أو الحفظ، أو شيء من البروز في العلوم الشرعية، رأى أنه كبيرٌ على العلم، فلذلك إذا رأى أناساً يتلقون العلم، فربما لا يلقي لهم بالاً، أو أنه إذا جلس إليهم أيضاً ربما لا يكون على هيئة وسمت أهل العلم، ومع ذلك تأمل ما جاء في هذا الحديث، رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل اللذين لهما من المنزلة ما لهما، ومع ذلك كان تعلمهما وتعليمهما ومحاورتهما وسؤال بعضهما لبعضٍ والإجابة على ذلك كانت على أتم هيئةٍ وأحسن حالٍ.
- فهذا مما ينبغي لنا أن نستحضره، وأن يكون الإنسان معظماً للعلم، عارفاً لقدره، عارفاً لمنزلته، ولأجل ذلك فإننا نقول: من حصل علوم الشريعة، فإنه قد حصل كل شيء ولو فاتته الدنيا برمتها، ومن فات عليه علوم الشريعة فقد فات عليه كل شيء، مهما اجتمع له من الدنيا ومتعتها.
- أعلى وأعظم ما في الشريعة هو العلم بتوحيد الله. ولذلك كان هو به الإسلام وبه الإيمان، والإحسان، ولا يتأتى للإنسان الإسلام إلا به، ولأجل ذلك تصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل، وهو الذي أيضاً حفلت به آيات كتاب الله جلَّ وعلا، من ابتدائه إلى نهايته، وكان أعظم ما في كتاب الله سورة الإخلاص مع قصرها، فهي تعدل ثلث القرآن، لما اشتملت عليه من توحيد الله جلَّ وعلا.
- ولذلك يقول أهل العلم وممن صدر بذلك كلامه ابن أبي العز الجنفي في شرحه للطحاوية قال: **فإن شرف العلم بشرف المعلوم، وليس شيء أشرف من العلم بالله، والعلم بأسمائه، والعلم بصفاته.**
- ولأجل ذلك ينبغي لنا أن يكون عندنا من الاستعداد لهذه العلوم، وإقامتها، والقيام لها، ما كان عليه سلفنا وما جاء فيه حديثنا، من فعل رسولنا صلوات ربي وسلامه عليه، وفعل جبريل معه، حين كان يدارسه ويسأله ويطلب إخباره عن الإسلام والإيمان والإحسان .
- لما قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، وفي هذا إشارة إلى أن نداء الشخص باسمه لا بأس في ذلك، حتى ولو كان رفيع الشأن، فإن بعض الناس إذا خُلِّي من الألقاب، أو العبارات التي فيها استهلالٌ بالمدح والثناء، فإنه يجد في ذلك غضاضةً، وربما لا يلقي للسائل باباً أو مجالاً، وهذا مما لا ينبغي، ولذلك جبريل مع ما خصه الله جلَّ وعلا من كمال العمل والفعل، وما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم من المنزلة، قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام.

ما معنى وما حقيقة الإسلام؟

- التعبير هنا بالإسلام يتوجه إلى الأعمال الظاهرة كما جاء في بيان النبي صلى الله عليه وسلم، لما قال: أن تشهد، لكن أصل الإسلام هو في اللغة هو الخضوع والانقياد، إذا أسلم الإنسان وجهه، يعني انقاد وخضع.
- وفي الاصطلاح أو في الشرع: **فإنه الاستسلام لله بالتوحيد، يسلم الإنسان بالتوحيد لله، يخلص قلبه فلا يتعلق إلا بالله، ولا يتوجه إلا إلى الله، ولا يطلب إلا الله جلَّ وعلا، وليس له خالق ولا رازق ولا معطٍ ولا مانع إلا الله سبحانه وتعالى.**

فهو الاستسلام له بالتوحيد، والانقياد به بالطاعة. فلا بد أن يكون منقاداً لله جلّ وعلاً، مطيعاً له، مستقيماً على أمره، مستجيباً لرسوله منتهياً عن نواهيه، مبتعداً عن زواجره، وقالوا في تمام هذا التعريف: **والبراءة من الشرك وأهله.**

ما علاقة الشرك وأهله بالإسلام؟

- لأنه كما يقول أهل العلم: وبضدها تتبين الأشياء، فلا يتحقق للإنسان إسلامٌ واستسلامٌ وتوحيدٌ، إلا بالبعد عن الإشراك والشرك بالله جلّ وعلاً.
- والشيء الصحيح واحدٌ، فلذلك كانت الإشارة إليه قصيرةً، وما يضاده كثيرٌ فاحتيج إلى أشياء واسعةٍ للتنبيه عليه، والتحذير منه، فلأجل ذلك كان هذا كذلك، البراءة من الشرك وأهله، لأن بعض الناس يظن أن البراءة من أهل الشرك، يعني أنه المقاطعة التامة بأي حالٍ من الأحوال، وليس هذا مراداً في الشرع، وإنما المراد بالبراءة من **أهل الشرك يعني في شركهم، أو في إشراكهم**، أما إذا اقتضت الأمور المقاربة إليهم بوجهٍ من الوجوه الصحيحة فإن الشرع لا يمانع من ذلك.
- وجاء في الشرع من اعتبار الحق له والقيام به ما تعرفونه، فإن أسماء لما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أمة تأتي وهي راغبةٌ، يعني في البر وهي مشركةٌ، أفصلها؟ قال: **«نعم صلي أمك»**، والله جلّ وعلاً يقول: **﴿وَصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾** [لقمان: 15]، يعني بالمعروف والقيام بحقوقهم، ولأجل ذلك لم يكن الشرع ليمنع من الإحسان إليهم، والقيام بحقوقهم، **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ﴾** [الممتحنة: 8]، والنبي صلى الله عليه وسلم جاور اليهود، وأجاب دعوتهم، وبايعهم، وأحسن إليهم، وعاد مريضهم كما في قصة ذلك الصبي، إلى غير ذلك من المعاملات.
- أما ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله: أن تشهد فإنه بين حقيقة الإسلام بأركانه.

ما الإيمان؟

- قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا بد أن نعلم شيئاً، وهو أن الدين هو شاملٌ للإسلام والإيمان والإحسان، ولذلك قال: **«جاءكم يعلمكم دينكم»**.
- الإسلام يطلق بالمعنى العام فيشمل الإيمان تبعاً، ويدخل فيه أيضاً الإحسان، يعني أن يطلق الإسلام في بعض الأحوال مراداً للفظ الدين.
- كما أن الإيمان أيضاً يطلق بهذا المعنى، يعني بالمعنى العام فيدخل فيه الإسلام، هذا من جهة العموم.
- ولذلك تقرر عند أهل العلم أن هذا اللفظ في الشرع له إطلاقان:
 - (١) إطلاقٌ باعتبار العموم،
 - (٢) وإطلاقٌ باعتبار الخصوص،
- فإذا جئنا إلى الخصوص، فإنه في الشرع في الأصل أن الإسلام للأمر الظاهرة، والإيمان يتعلق بالأمور الباطنة، وهذا يظهر من خلال أمرين:
 - (١) ما جاء في أن الإسلام علانيةً، والإيمان في القلب، أو في السر، كما جاء في بعض الآثار،
 - (٢) من خلال ما ذكره المؤلف -رحمه الله تعالى- في إirاده لهذا الحديث العظيم، لما قال: سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- **«ما الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة،**

وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» ، هذه الأشياء الخمسة ظاهرة أو باطنة؟ هي ظاهرة، ولها تعلق بالباطن.

- الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره هذه تعلقاتها بالباطن، فمن جهة المعنى الخاص، فالإيمان يتعلق بالباطن، والإسلام بالظاهر.

هل بينهما تداخل؟

- نقول: ولا شك، مما ينبغي أن يُعلم أنه لا يتصور الإسلام أنه ظاهرٌ فحسب، بل لا يكون الإسلام إسلامًا إلا بهذه الأمور الظاهرة، وهو مستندٌ إلى الباطن، وإلا كان من يقول في الظاهر بدون باطنٍ كالمناقف أليس كذلك؟

من أين يمكن أن نقول إن له تعلقًا بالباطن؟

- من حيث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»

ما حقيقة هذه الشهادة؟

- الشهادة ضد الغيب ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: 73]، فالغيب هو ما استقر في القلب، والشاهد يشهد بما قد غاب في قلبه، فإذا أصل هذه الشهادة شيءٌ استقر في القلب، ولأنه لا يتصور أن يشهد الإنسان شهادة إلا بما يستيقنه ويتيقنه، ولا يكون يقينًا إلا أن يكون مستقرًا في قلبه، فهذا كيف أن الإسلام متعلقه أوله أصلٌ في الباطن لا ينفك عنه، وهذا مأخوذٌ من الشهادة، وكل هذه الأعمال لا تصح إلا بنية، ومتعلق النية هو القلب، هذا من جهة،
- من جهة ثانية فإن الإيمان الذي جاء في هذا الحديث من أنه متعلقٌ بالاعتقاد والباطن ، أيضًا جاء في بعض الأحاديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سئل ما الإيمان؟ أو في حديث مسلم: «أمركم بالإيمان بالله، قال وهو أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة» ، ففسر الإيمان هناك بالإسلام، مما يدل أن الإيمان تعلقه بالأعمال الظاهرة حاصلٌ لا ينفك عنه في الشرع.
- ثم أيضًا جاء في حديث شعب الإيمان لما قال : «الإيمان بضغ وسبعون شعبةً، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان» ، إمطة الأذى من الطريق شيءٌ باطنٌ أو ظاهرٌ؟ ظاهرٌ، فعلم بذلك أن الإيمان أصله اعتقادٌ، وله تعلقٌ بالظاهر، فلأجل هذا لا يُتصور أن يكون الإنسان قائمًا بالأركان الظاهرة، التي جاءت في الإسلام، بدون أن يكون له اعتقادٌ صحيحٌ، وإيمانٌ باطنٌ، كما أنه لا يُتصور أن يكون للإنسان إيمانٌ بدون أن يكون له أثرٌ على عمله، واستقامةٌ على أفعاله،
- ولذلك يقول أهل العلم: أن اسم الإيمان والإسلام هما من الأسماء التي إذا افترقا اجتماعًا ، يعني إذا ذكر أحدهما في موضعٍ، ولم يذكر الآخر، فإنه يشمل الاثنين، يشمل الظاهر والباطن، وإذا اجتمعا اختص كل منهما بمعنى، فيكون الإسلام للظاهر، والإيمان للأمور الباطنة.

الإيمان ما حقيقته؟

- الإيمان في الأصل هو التصديق والإذعان، ولذلك قال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: 17]، يعني بمصدقٍ، لكنه تصديقٌ فيه شيءٌ من القبول والإذعان، وليس مطلق التصديق كما نص على ذلك جماعة من أهل العلم،

- أما في المعنى الشرعي: اعتقاد الجنان، وقول اللسان، وعمل الجوارح ، ولأجل ذلك ترى أنه أيضًا في تعريفه قول، والقول هو إلى الأعمال باعتبار العموم ألصق، وكذلك عمل الجوارح.

مسألة مهمة.

- وهي أن أهل السنة والجماعة لا يتحقق للعبد إيمانٌ حتى يجمع بين هذه الأمور، بين اعتقادٍ حاصلٍ في القلب، وقولٍ حاصلٍ باللسان، وعملٍ بالجوارح، فإذا اختلف واحدٌ منها، فإنه يختل إيمانه، فلأجل هذا ما نقول بقول المرجئة، أنه من اعتقد وقال كفاه ذلك، وكان مؤمنًا كامل الإيمان، وتقدم أو شُمل أقاويل السلف في ذلك، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قال في حديث عثمان الطويل، في القصة المشهورة: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**» ، وما جاء من حديث: «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» ، ماذا قال السلف في هذا؟ يقول لما سئل الحسن عن أن لا إله إلا الله تدخل الجنة وتنجي من النار، قال: "أما إن لها حقوقًا وواجباتٍ، من أدى حقها دخل الجنة، ونجا من النار"، والزهري لما روى الحديث «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**» ، قال -تأمل قوله: ولقد شُرعت بعد ذلك شرائع، وفُرضت بعد ذلك فرائض، فلا يغتر بذلك مغترٌ، يعني أن يقول لا إله إلا الله، ويظن أنه يحرم على النار، بل لابد من العمل، وهذا نصٌّ من السلف على ذلك، وقول وهب بن منبه مشهور في هذا، لما قال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ولكل مفتاحٍ أسنانٌ، ويقصد بالأسنان العمل، والقيام به، فأهل السنة إذن يدخلون العمل في مسمى الإيمان، وعلى ذلك تتابع السلف الصالح، وهو قول الصحابة فمن بعدهم، إن لم يخالف في ذلك إلا أهل الإرجاء، فضلوا بذلك ضلالًا، وتركوا ما جاء في دلالات النصوص والأحاديث، وما تتابع عليه أهل العلم، وفي هذا أيضًا مخالفةٌ للخوارج، فإن الخوارج الذين يجعلون العمل سببًا للتكفير، فيكفرون من أوبق موبقةً أو فعل كبيرةً، فمع كوننا جعلنا العمل من الإيمان، إلا أنه جنسه من الإيمان، لا أن الموحد يكفر بأي عملٍ من الأعمال، أو بأي كبيرةٍ من الكبائر، بل المقصود هو الجنس، لأن من ترك جنس العمل فلم يعمل بشيءٍ من ذلك، فهذا هو الذي أخل بهذا الركن، أما من كان يعمل، فإنه لا يحكم عليه بأنه كافرٌ خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين ضلوا بذلك ضلالًا مبينًا، وإنما أهل السنة والجماعة يكفرون بالعمل إذا دل الدليل على أن تركه كفرٌ، لكن فرقٌ كبيرٌ بين مذهب أهل السنة والجماعة وبين الخوارج والمعتزلة، فإن أولئك يجعلون الكبيرة مخرجةً من الملة، أو منزلةً بين منزلتين، ومآلها إلى الكفر لأنه يجعلونه في النار خالدًا مخلصًا، أما أهل السنة والجماعة فإن من أتى بجنس العمل وأتى ببعض الأعمال لكنه أخل ببعضها، لا يمكن أن نقول إنه أخل بإيمانه، لكن من لم يعمل قط شيئًا من الخير، فإنه لم يكمل الإيمان ولم يدخل فيه ولم يحقق هذا الركن.

- قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قال: «**ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر**».

قال: أن تؤمن بالله

- كل واحدٍ من هذه الأركان، الحديث فيه طويلٌ، لكن حسب الإنسان أن يعلم أن أعظم ما يتعلمه هو هذه المسائل، والإيمان بالله إذا قيل الإيمان بالله، فإنه يشمل أعظم حق الله -جلَّ وعلا- وهو توحيده، توحيد الربوبية، بأن الله -جلَّ وعلا- هو الخالق الرازق المدبر، فإننا نقول الحمد لله رب العالمين، فإن الله هو الذي ربانا بنعمه، وأوجدنا بقدرته، ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: 54] فالإيمان بتوحيد الله

بأفعاله، وأن الخلق خلق الله، والقدرة قدرة الله، والعلم علم الله، علم تام، لا تغيب عليه غائبة، ولا تذهب عليه فائتة سبحانه من رب عظيم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]،

- والثاني توحيد الألوهية، وهو أن يتوجه العباد، أو يفردوا الله بالعبادة، فلا يتوجهوا إلى أحدٍ سواه، فهو لما كان الخالق، فهو المستحق للعبادة، ولما كان هو القادر، فهو المستحق للإخلاص، ولما كان غيره ليس بخالق، ولا برازق، وهو ضعيف مخلوق، فأنى يتوجه إليه ويدعى من دون الله -سبحانه وتعالى-، ولأجل ذلك كان من أعظم ما جاء في نقض آلهة المشركين أنهم لا يخلقون شيئاً، وهم يُخلقون، كما قال الله -جلَّ وعلا-، فكان ذلك فيه إبانة عن ضعف آلهتهم، وأنه لا يتوجه إليها، ولم يستطيعوا الجواب، وحاروا في الكلام على ذلك، وإلا لو قدروا لفعلوا، وهم أعظم محادةً لله، ولرسول الله -صلى الله عليه وسلم.
- والإيمان بأسماء الله -جلَّ وعلا- وصفاته، وهذا من أعظم ما يقربه الإيمان، ويُعظَّم به الله -جلَّ وعلا-، ويتوجه الإنسان إلى خالقه، إذا علم أن الله عليم، خالق، رازق، أن الله مدبر، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو اللطيف، الخبير، الرحيم، الرحمن، فكل ذلك مما يزيد العبد، هذه أسماء الله، مشتملة على صفاته، وهذه الصفات تليق بالله -جلَّ وعلا-، لا يقاس بخلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] نثبتها كما أثبتها الله -جلَّ وعلا- في كتابه، وجاءت على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم-، عارفين بمعناها، ولا نقول من أن علم الله أو أن رحمة الله كرحمة المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

أن تؤمن بالله وملائكته،

- الإيمان بملائكة الله هذا جاء به دلالة الكتاب، وجاءت به دلالة السنة، فكان الإيمان به من الإيمان بالكتاب والسنة، فلا يسع المسلم إلا الإيمان به، والإيمان به على سبيل الإجمال من حيث ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما وصل إليك من تفاصيل، كما جاء مثلاً «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض»، هذه أسماء ملائكة من ملائكة الله، فمن علم ذلك وجب عليه أن يؤمن بذلك، وأن الملائكة خلقت من نور، وأن من أوصافهم، أنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، إلى غير ذلك مما جاء في كتاب الله، فكل ما جاء من أوصاف، وكل ما دلت عليه النصوص من حالهم، فإن أهل الإيمان يؤمنون بالله، ويؤمنون بملائكة الله، لا يستنكفون، ولا يحرفون، ولا يعترضون؛ لأنهم لم يستوعبوا ذلك، أو خرج عن نفوسهم، أو أنها خيالات، أو أنها النفوس الطيبة، أو نحو ذلك كما يقول أهل الضلال والمعتزلة وغيرهم من التحريف في ذلك.

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه،

- الإيمان بالكتب، كتب الله -جلَّ وعلا- جاء بيانها، أعظمها كتاب الله وهو القرآن، وأيضاً التوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، فكل ذلك مما يؤمن العبد به، على سبيل الإجمال،
- ويؤمن من أن هذا الكتاب مهيمٌ عليها، ناسخٌ لها، وأنه مشتملٌ على ما فيها من الخيرات والمصالح، وأن الله -جلَّ وعلا- تكفل بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وفي هذا يعلم العباد أيضاً عظيم فضل الله على الخلق، من أنه أنزل لهم الكتب، وبعث لهم الرسل.

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

- والإيمان برسل الله -جلّ وعلا- الذين أرسلهم إلى الخلق، يدعونهم ويهدونهم، ويبينون لهم الحق، ويبصرونهم بالهدى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].
- وأن جميع الأنبياء والرسل دينهم واحد، وشرائعهم شتى، ولذلك قال الله -جلّ وعلا-: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105]، مع أن نوحًا أول المرسلين، فيقول أهل العلم: فكأنه من كذب نوحًا، فكأنما كذب الرسل كلهم؛ لأن التكذيب لواحدٍ تكذيبٌ للجميع، لوحدة ما جاءوا به من توحيد الله، وإن اختلفت شرائعهم ورسالاتهم، من خصوصٍ أو عمومٍ، وجاءت رسالة نبينا -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافةً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: 28]، فهذا من الإيمان برسل الله، وثم الأنبياء والرسل، نؤمن بهم أيضًا على سبيل الإجمال، فهذا من أعظم ما يدين المرء به، ويعتقده، ويربط على ذلك قلبه، ويلقى الله -جلّ وعلا- به.

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،

- الإيمان باليوم الآخر من أعظم منازل الإيمان وأركانه، وهو مشتملٌ على كل ما يتعلق بما بعد الموت، من أحوال القبر والبرزخ، وأحوال البعث، والحساب، والجزاء، والجنة والنار. وما فيهما مما ذكره الله -جلّ وعلا- في كتابه، أو جاء عن رسوله -صلوات ربه وسلامه عليه-، فما كان يكون من قيام الناس، ومن طول قيامهم، وكيفية حشرهم، وما يكون ذلك من تطاير الصحف، وما يكون من حال أهل اليمين، وأهل الشمال، وما يكون فيه من وزن الأعمال، وما يكون فيه من الحوض، والورود عليه، وما يكون فيه من الصراط، وتخطف أهل النار، وما يجوز به أهل الإيمان، وطريقة ذلك، فمنهم المسرّع، ومنهم دونه، إلى غير ذلك، وأحوالهم بعد أن يجوزوا الصراط، والوقوف عند القنطرة، وما يكون من تهذيب قلوبهم، وإذهاب ما في نفوسهم، حتى يدخلوا جنة الله -جلّ وعلا-، ويفوزوا برضوانه، ويبقى المجرمون في عذابه ونكاله، نسأل الله السلامة والعافية. وما يحصل أيضًا لأهل الإيمان من الكمال بعد ذلك، بلذة الرؤية إلى وجهه الكريم، كما قال الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [يونس: 26]، فالحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.
- فكل ذلك من الإيمان باليوم الآخر، وهو الذي جاء في كتاب الله، وفي سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فكان أهل الإيمان يؤمنون بذلك إجمالًا وتفصيلًا لمن زاد علمه بتفاصيلها.

والإيمان بالقدر خيره وشره،

- الإيمان بالقدر هو الإيمان بالمراتب الأربعة،
 - (١) وهو علم الله -جلّ وعلا-،
 - (٢) وكتابتها لكل ما يكون، بأن الله كتب كل ما يكون إلى يوم القيامة،
 - (٣) والمشيئة
 - (٤) والخلق،
- فالعباد وما عملوا، خلقهم الله، وخلق أفعالهم، هذه المنازل الأربعة، التي بها يكون درجات الإيمان بالقدر.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.